

عناصر السرد وجماليات تكثيفها في القصة القصيرة جدًا

Narrative elements and the aesthetics
of their condensation in the very short story

عبد الله عباسي

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل(الجزائر)، abdelahabbaci@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2023/09/21 تاريخ القبول: 2024/01/19 تاريخ النشر: 2024/01/26

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى استكشاف مظهرات التّكثيف في عناصر البنية السّردية للقصة القصيرة جدًا. فقد اتفق النقاد والدارسون على أنّ هذا العنصر ركن أساسي من أركان هذا النوع السّردى الوامض، ولكنهم قلّمًا أضأوا مظهراته في عناصر البنية السّردية تفصيلًا وتخصيصًا. وعليه نتبعنا في هذا المقال عناصر البنية السّردية من لغة وحدث وشخصيات وفضاء، وكشفنا من خلال كلّ عنصر تجليات التّكثيف فيه دون إهمال وظائفه وجمالياته. الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة جدًا، القصصية، الحدث، الشّخصية، الفضاء.

Abstract:

This article seeks to explore the manifestations of condensation in the elements of the narrative structure of the very short story. Critics and scholars agreed that this element is an essential pillar of this flickering narrative genre, but they rarely illuminated its manifestations in the elements of the narrative structure in detail and specificity. Therefore, in this article we followed the elements of the structure. The narrative consists of language, event, characters and space, and we revealed through each element the manifestations of condensation in it without neglecting its functions and aesthetics.

Keywords: condensation, the very short story; anecdotal; the event; Personal; outer space.

1. مقدمة:

تُعَدُّ القِصَّة القصيرة جدًّا نوعًا سرديًّا حديثًا شهد اهتمامًا مُتزايدًا في مطلع الألفية الثالثة من لُذُن الكُتَاب والنِّقَاد على حدِّ سواء.

وبما أنَّ كُلَّ عصر يُفرز جمالياته الخاصَّة، فقد صار هذا النُّوع السَّردي تجليًّا من تجليات مجتمعات مابعد الحداثة التي يميَّزها إيقاع حياتي متسارع ومُتغيِّر تطغى فيه وسائل التَّواصل الاجتماعي وتفرض منطقها الافتراضي على العلاقات الاجتماعية وأساليب النُّشر وطرق التَّعبير على حدِّ سواء.

لقد غَصَّ الفضاء الإلكتروني بهذا النُّوع السَّردي الوجيز وصُمِّمَتْ له المنتديات، وعُقدت له المؤتمرات والندوات واقعاً وافتراساً، وأقبل المبدعون على كتابته وتجريبه على اختلاف مستوياتهم وتنوع آرائهم ومواقفهم إزاء هذا الفن، فقد اختلفوا في حصر مفهومه، واختلفوا في رصد أركانه وشروطه الفنية، ولكنهم اتَّفَقوا على أنَّه سرد وجيز يُضيء لحظة مأزومة بتكثيف وتركيز لا يعبأ بالتفاصيل ولا يهتم برصد ملامح الشَّخصية ولا يستقصي الوقائع الجزئية التي يتكوَّن منها الحدث ولا يُسهب في وصف الفضاء وتشكَّلاته.

وقد تمحور هذا المقال حول الإشكالية الرئيسة التالية:

كيف يتجلَّى التَّكثيف في عناصر البنية السَّردية للقِصَّة القصيرة جدًّا؟ وفيما تختلف عناصر هذه البنية عن غيرها من البُنَى السَّردية للفنون المتاخمة للقِصَّة القصيرة جدًّا، كالقِصَّة القصيرة والرواية؟ وفيما تكمن وظيفة التَّكثيف؟ وما هي جمالياته؟

2. مفهوم "التَّكثيف":

ذكر "ابن فارس" في معجمه "مقاييس اللُّغة" في باب "الكاف والثاء وما يثلاثهما": «الكاف

والثاء والفاء أصلٌ صحيح، يُدُلُّ على تراكب شيء على شيء وتجمُّع يُقال: هذا شيء كثيف وسحابٌ كثيف وشجرٌ كثيف».¹

وتتحو المعاجم العربية الأخرى منحى "مقاييس اللّغة" في بيان معنى الأصل "كثف" وما يتفرَّع عنه، فقد ذهب "الرازي" في "مختار الصحاح" في بيان مادّة "ك،ث،ف" إلى أن: «الكثافة، الغلظُ وبأبُه ظرْف، فهو كثيف، وتكاثف أيضًا».²

والملاحظ أن بين معنيي مادّة "كثف" في المعجمين السابقين تقارب وتكامل، فالتّجميع يورث الشّدة والغلظة كما يورث الاتّحاد القوّة.

ويجمع "الفيروزآبادي" في القاموس المحيط بين المعنيين السابقين ويضيف إليهما معاني أخرى تجانسهما، وهو بصدد الإحاطة بدلالات الصّيغة المصدرية "الكثف" فيذكر، الجماعة والغلظ والكثرة والالتفاف، وتكاثف، تراكب وغلظ...³

ويتفق المعاصرون من المعجميين مع القدامى في بيان معاني الجذر "كثف"، وما يُستشفّ منه، يقول "عبد السلام المسدي": «المادّة فصيحَةٌ في بنيتها الفعلية، كُثِفَ يَكْثِفُ كثافةً وتكاثف: غلظَ وكثُرَ والتفّ فهو كثيف، وتستعملُ صيغة، استكثف الشيء، كان كثيفًا، واستكثف الشيء، وجده كثيفًا، أمّا المطرد حديثًا دون أن يكون قياسيًا فهو استعمال صيغة "فَعَلَ" و"تَفَعَّلَ".⁴

نستنتج ممّا سبق أن معاني الجذر "كثف" تنصرف للدّلالة على الجمع والكثرة والالتفاف والغلظة والتّراكب، وهي معانٍ حسّية تعني لملمة أشتات المفرّق، فيتحوّل الكثير المفرّق الرّهيف إلى قليل مُجمّع غليظ.

ولأنّ الدّلالة اللّغوية هي أصلُ الاصطلاح في العربيّة وفي غيرها من الألسن، فإنّ مصطلح "التّكثيف" في سياقه المعرفي الأصلي لا يبتعد في دلّالته عن المعاني المعجميّة السّابقة، كالجمع والتّراكب، وجدير بالتّنويه، أنّ السّياق المعرفي الذي تداول هذا المصطلح

بدءًا ليس النّقد الأدبي، بل "علم النّفس" والتّكثيف (Condensation) من منظور نفسي «هو نوع من التّرجمة المختصرة لما يكمن في اللاّشعور، وهو عملية يتحوّل بها عدد من العناصر في المحتوى الكامن إلى صورة واحدة أو معنى واحد، وتلك العناصر التي تجمع بينها سمات مشتركة تتصهر معًا، فيأتي شخص في الحلم، يشبه شخصًا معيّنًا ويمشي كشخص آخر ويرتدي ملابس شخص ثالث، وكذلك الحال مع الأماكن، فكلها تمثل تركيبًا رمزيًا من تداعيات تسمح بامتزاجها في الحلم الظّاهر في صورة واحدة، فهنا نجدُ تناسجًا وتشابكًا في الخيوط، بين المحتوى الظّاهر والكامن، ويتوقّف معنى كل عنصر في الحلم الظّاهر على التفسير الكلّي للحلم»⁵.

فكأنّ اللاّشعور ينزح إلى ضمّ المؤتلف من الأشخاص والأماكن ويركّزها في صورة واحدة، بحيث تفقد الأجزاء التي تتألف منها وحدتها ومعناها الخاص، وتتركّز في معنى كلّ هو معنى الحلم ذاته «لهذا يحدث نوع من التّكثيف النّفسي في سيرة تكوّن اللاّوعي، ولاسيّما الأحلام، إذ تجتمع عناصر متعدّدة أو تمثيلات، في تمثيل واحد لتجمع طاقات فاعلة، لهذا يرى "فرويد" أنّ المثير في الأحلام هو نزوعها إلى التّكثيف والربط بين العناصر التي تظلّ في اليقظة مشتّتة»⁶.

فالتّكثيف اللاّشعوري المتجسّد في الأحلام، يجمع الطّاقات التي تبدو مشتّتة في الواقع، ومن ثمّ فإنّ الأشتات المفرقة تغدو ملمومة والكثرة المختلفة تغدو قلة مؤتلفة مركّزة.

وقد نزح مصطلح "التّكثيف" من علم النّفس إلى "النّقد الأدبي" وصار سمة بارزة وعلامة فارقة تتقاسمها الكثير من الأجناس الأدبية شعراً وسرداً. ولعلّ السرد الوجيز، - "القصة القصيرة" و"القصة القصيرة جدًّا" - من أخص الأنواع الأدبية التي يُعدّ التّكثيف ركناً من أركانها، وقبل أن نتلمّس مظهراته في هذا النوع الأخير "القصة القصيرة جدًّا" لابدّ من

وقفة مع هذه الومضة الحكائية التي عجت بها الفضاءات واقعاً وافتراساً، واختلف في شأنها النقاد مصطلحاً وتأصيلاً وتجنيساً.

3. القصة القصيرة جدًا، التسمية وملابسات النشأة:

تعددت التسميات التي وُسم بها هذا النوع الأدبي، بتعدد ناquديه وكُتابه واختلاف مشاربهم الثقافية ونوازعهم الإيديولوجية، ومن هذه الأسماء «القصة القصيرة جدًا، القصة الومضة، القصة اللقطة، القصة القصيرة للغاية، القصة المكثفة، القصة الكبسولة، القصة البرقية، اللوحة القصصية، الصورة القصصية، النكتة القصصية، الخبر القصصي، القصة الشعر، الخاطرة القصصية، القصة الجديدة، القصة الحديثة، الحالة القصصية، المغامرة القصصية»⁷.

ولعلّ هذا التعدد في التسمية ناتج عن اختلاف زوايا النظر من قبل النقاد والدارسين إلى هذا النوع الوليد، فمنهم من نظر إلى الحجم (القصة القصيرة جدًا، القصة القصيرة للغاية، القصة البرقية) ومنهم من ركّز على مشهديات هذا النوع (اللوحة القصصية، الصورة القصصية، القصة الومضة، القصة اللقطة)، ومنهم من استلهم اسمها انطلاقاً من بعض خصائصها الفنية (القصة الشعر، القصة الخاطرة، النكتة القصصية)، ومنهم من اعتمد في وسمها على معيار زمني (القصة الجديدة، القصة الحديثة...) وهكذا دواليك. ولم يسلم هذا النوع الأدبي من التعدد الاصطلاحي في لغات أخرى «فمما نجده في مجال الدراسات الفرنسية "القصص الوجيز: récit bref"، والقصص "فوق الوجيز: récit ultra bref"، والقصص مفرط الإيجاز: récit extrêmement bref"، والقصص الذري: micro conte"، و"الحكايات الوجيزة: contes brefs"، و"الحكايات المفرطة الإيجاز: contes ultra brefs"، و"النانو أقاصيص: nano nouvelles" و"التخييل الذري: micro fiction"،

والأقاصيص الذرية: "micro nouvelles" و"الشذرات السردية: fragements
"narratifs"»⁸.

والملاحظ أنّ المصطلحات الفرنسية التي وُضعت للدلالة على هذا النوع القصصي تخضع لمعيارين فقط هما:

أ. الحجم: ويتجسّد من خلال هذه الأوصاف (nano, bref, micro)

ب. السردية أو القصصية أو الحكائية والتي تتجسّد من خلال (conte, nouvelle,) (récit).

وبما أنّ كل عصر يفرز جمالياته الخاصّة، فإنّ القصّة القصيرة جدًّا بما تمتلكه من أركان وخصائص كالإيجاز والتّركيز والتّكثيف والحذف والإدهاش والمفارقة ... هي أنسب الأنواع الأدبية للتعبير عن مجتمعات مابعد الحداثة في الغرب والشرق على السّواء، والتي يميّزها الإيقاع السّريع للحياة وطغيان وسائل التّواصل وتشظي العلاقات الاجتماعية وبروز الفردية والانعزال، فكان لا بدّ أن تتكيف القصّة القصيرة جدًّا مع هذا الواقع الجديد وتساير سرّعه، فركبت لغة الاختزال وقدمت الأفكار والمعاني والحالات والمواقف والخواطر في أصغر حجم ممكن. فقد ازدهر هذا الفن وشاع في العالم العربي «في مطلع الألفية الثالثة بفعل الثورة الرقمية والمعلوماتية والاتصالات، وانتشر كتاب وكاتبات القصّة القصيرة جدًّا في الفضاء الإلكتروني، وأنشئت له عدّة مجموعات، زادت على عشرات الآلاف من المشاركين والمشاركات على مواقع التّواصل الاجتماعي، وعُقدت له عدّة مؤتمرات علميّة في سوريا ومصر والمغرب والسّعودية»⁹.

لقد لجأ الكتاب إلى هذا الفن للتعبير عن أزمت الإنسان المعاصر الغارق في الماديات وثقافة التّسليع والاستهلاك، فكأنّه صار فن اللّحظة المأزومة، باعتبار مضامينه

التي تدور - في الغالب - حول «الفشل، الضياع، الغربة، التشاؤم، الأحزان، الخيانة، التشرد، الموت، الخوف، الجنون، العبث ...»¹⁰.

إن مرونة القصة القصيرة جدًا وقدرتها على التّكثيف والاختزال ورصد المفارقات جعلها تتّسع للكثير من المضامين، إذ يستطيع الكاتب المتمكّن أن يطوّعها لتستجيب لنبض الحياة وإيقاعها السريع في ومضة خاطفة تكتفي باللمح والإشارة.

4. القصة القصيرة جدًا، مفهومها وأركانها وخصائصها الفنية:

رغم كثرة التسميات التي وُضعت لوصف هذا النوع السردّي، فإنّ مصطلح "القصة القصيرة جدًا" هو الأكثر شيوعًا وتداولًا بين النقاد والمبدعين على السواء، ولئن تمّ الاتفاق على المصطلح أو كاد، إلّا أنّ الاختلاف مافتى يتّسع حول المسائل الفنية المتعلقة بهذا النوع، فهو فن مراوغ من جهةٍ، ومن جهة أخرى «فالخطاب النّقدي للقصة القصيرة جدًا يجدّ فرصاً أضيق في المقاربة والتحليل، إذ يتعذّر عليه الانطلاق في استغوار البنى والتشكلات والأحداث والفضاء السردّي مع القصة القصيرة جدًا مقارنة بالأنواع القصصيّة الأخرى»¹¹.

ورغم صعوبة استغوار هذا الفن ورصد سماته وأركانه، إلّا أنّنا نجد محاولات كثيرة من لدنّ عديد النقاد، حاولت حصر مفهومه وبيان خصائصه، فقد عرّفه "أحمد جاسم الحسين" بكونه: «قصة أولاً، وقصيرة جدًا ثانياً، قصة بمعنى أنها تنتمي للقصّ حدثاً وحكاية وتشويقاً ونمواً وروحاً، وتنتمي للتكثيف فكرياً واقتصاداً ولغة وتقنيات وخصائص»¹².

يكشف هذا التعريف على قصره، ركنين أساسيين من أركان القصة القصيرة جدًا، هما: القصصيّة، بما تحتويه من لوازم السرد كالحدث والشخصية وعنصر التشويق، إضافة إلى التّكثيف الذي يفرضه حجم القصة القصيرة جدًا، فهي لا تتّسع للإسهاب والتّطويل بل تعتمد الإيجاء والتركيز في لغتها وفكرتها وباقي تقنياتها وخصائصها.

ويعرفها "حميد لحميداني" بكونها «فن قصصي حديث النشأة والذئوع، له أصول قديمة عربية وغربية، يتميز بخاصية رئيسية هي القصر الشديد، من سطرين إلى حوالي خمسة عشر سطرًا في الغالب، كما أنه فنّ يعتمد كثيرًا على تقنية المفارقة وخاصيات التّكثيف والتوتير والخصوبة الدلالية والاقتصاد في اللغة والسخرية والمباغلة والإدهاش، وتحوّل فيه الكلمة إلى ركيّة أساسية»¹³.

يشير التعريف إلى الأصول القديمة للقصة القصيرة جدًّا عند العرب والغربيين، فمن النقاد من عدّ النادرة والطرفة والملحة وحكايات الأمثال في تراثنا السردّي، أصول للقصة القصيرة جدًّا، ويُفرّق التعريف أيضًا بين الخصائص والتقنيات، فالمفارقة تقنية، أمّا الإيجاز والتّكثيف والتوتير والانفتاح على التأويل وتعدّد القراءة والسخرية والمبالغة والإدهاش فهي خصائص. ولعلّ ما يميّز هذا التعريف، هو إشارة الناقد إلى حجم القصة القصيرة جدًّا الذي يتراوح بين السّطرين والخمسة عشر سطرًا.

وعرفها الناقد يوسف حطيني "بقوله: «هي جنس سردي قصير جدًّا، يتمحور حول وحدة معنوية صغيرة، ويعتمد الحكائية والتّكثيف والمفارقة، ويستثمر الطاقة الفعلية للغة، ليعبر عن الأحداث الحاسمة، ويمكن له أن يستثمر ما يُناسبه من تقنيات السرد في الأجناس الأخرى»¹⁴.

ويبدو الجديد في هذا التعريف في إشارة الناقد إلى ركن آخر من أركان القصة القصيرة جدًّا، هو المفارقة، إضافة إلى الرّكنين السّابقين وهما الحكائية والتّكثيف، كما نلاحظ إشارته إلى وحدة الفكرة وفعلية الجملة، وانفتاح هذا الفن على الأنواع السردية الأخرى واستثمار تقنياتها.

أما الناقد العراقي "عبّاس عجاج" فيعرّفها بقوله: «القصة القصيرة جدًا، فن سردي حدثي قصير مكثّف، له اشتراطاته الخاصّة وخطابه السّردى، ويعتمد في بنيته على قول الكثير من المعنى بالقليل من الكتابة، يفتح على التّأويل، يتّسم بقصر الحجم والإيحاء المكثّف ووحدة المضمون وفق قصصيّة موجزة، رمزيّة أحيانًا، تعتمد التّلميح والاقتضاب والتّجريب، تتجاوز السرد المباشر إلى التّصوير البلاغيّ البيانيّ والمجازي، ضمن بلاغة الإيحاء والسّخرية والمفارقة والانزياح»¹⁵.

ويُلاحظ أنّ هذا التعريف يتقاطع مع التعاريف السابقة في السردية والتّكثيف والحجم والانفتاح على التّأويل ووحدة الفكرة والمفارقة ويتميّز عنها في اشتراط الانزياح عن السرد المباشر والنّزوع إلى المجاز مع اعتماد السّخرية والإيحاء.

وترى النّاقدة "سعاد مسكين" في القصة القصيرة جدًا «صيغة جديدة من الخطاب، تلتقط اللّحظة والحدث بكثافة لغوية وبلاغة رمزيّة تعبّران عن الإنسان العاديّ والهامشي عبر كتابة صادقة بليغة»¹⁶. تشير النّاقدة في هذا التعريف إلى هامشية الشّخصية في القصة القصيرة جدًا، فهي فنّ اللّحظة المأزومة بحق، تقتصر الحدث وتعبّر عنه بكثافة موحية وبلاغة مقتضبة.

ويمكننا من خلال التعاريف السابقة، تلخيص أركان القصة القصيرة جدًا واشتراطاتها الفنية في العناصر التّالية:

فأمّا ركنها الأساسيان المتّفق عليهما، فهما التّكثيف والحكاية، تضاف لهما المفارقة عند بعض النّقاد، أمّا اشتراطاتها الفنيّة فيمكن إجمالها في: قصر الحجم، بحيث يتراوح بين سطرين وخمسة عشر سطرًا -غالبًا-، التوتير، تعدّد الدّلالة والانفتاح على التّأويل، السّخرية، المبالغة، الإدهاش، وحدة الفكرة، الإيحاء والإيحاء، الرّمزية والتّلميح، التّجريب والنّزوع إلى المجاز، تأزّم الحدث وهامشية الشّخصية.

وبما أنّ التّكثيف ركناً قارئاً في القصّة القصيرة جدّاً، فسنحاول فيما يلي رصد تجلّياته من خلال عناصر البنية السردية لهذا الفن مع كشف جمالياته وبيان وظائفه.

5. تجليات التّكثيف في القصّة القصيرة جدّاً:

أ. **تكتيف اللّغة:** ليس قصر الحجم معياراً كافياً لعدّ نصّ ما، قصّة قصيرة جدّاً، إنّ ما يجعله كذلك هو استجابته للشروط الفنية لهذا النّوع وعلى رأسها، التّكثيف اللّغوي، وهو تكتيف يتجلّى بالأساس في الكلمة المفردة، لا الجملة، فاللفظة وحدة بناء هذا الفن وهو لا يتّسع لكُلّ ما يمكن الاستغناء عنه من كلمات أو بياضات أو علامات ترقيم... «ومثلما هو مختلف في بنائه العام، مختلف أيضاً في مفردات بنائه، حيث إنّ المفردة هي اللّبنة الأولى، في حين تكون الجملة القصصيّة هي اللّبنة الأولى والعامل المحرّك في القصّة التّقليديّة»¹⁷.

ولا يعني التّكثيف هنا أيضاً اقتصاداً في المفردات، «بل هو تكتيف في الدّلالات، وتوصيل المفردة إلى مستوى عالٍ من التّركيز الواعي، يوصل الكاتب إلى النّهاية، في أقلّ مسافة سردية ممكنة، دون أن تفقد القصّة القصيرة جدّاً توازنها وأثرها لدى القارئ»¹⁸.

إنّ التّكثيف هنا، يعني استثمار الطاقة الإيحائية للفظّة والارتقاء بها إلى مستوى الرّمز، فتغدو لغة شعرية سماتها التّركيز والإيحاء، «يخترقُ فيها الدّلالات المألوفة، ويعبّرُ بها إلى شواطئ عديدة من الدّلالات المشاكسة المتلاطمة مثل موج البحر»¹⁹.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الخاصيّة، خاصيّة التّكثيف اللّغوي في القصّة القصيرة جدّاً نجدها «في جميع المبادرات التّنظيريّة التي قام بها الباحثون في العالم العربي والمغرب، وهي خاصيّة مركزية في هذا الفن، إذا ما راعينا أنّه ينفردُ بها على المستوى الكلّي للبنية الخاصّة»²⁰.

لا تحتاج القصة القصيرة جدًا إلى تشذيب لغتها، فأى حذف لكلمة أو استبدالها بغيرها أو زيادتها، سيؤدّي حتماً إلى تفكك بنيتها ومحو هويتها.

ب. تكثيف الحدث: إنّ الحكائيّة أو القصصية، ركنٌ متين من أركان الفنون السردية عامّة والقصة القصيرة جدًا على وجه الخصوص فـ «أن نقصّ أو نحكي، يعني أنّ لدينا حدثاً، ولابدّ أن ينطوي هذا القص على خصائص خاصّة به، تعمل كضمانة لمغايرة بقيّة الأنواع القصصية»²¹.

ولعلّ من أخص خصائص القصة القصيرة جدًا، اتخاذها المفردة لا الجملة وحدة بناء، كما لا يتسع المجال في القصة القصيرة جدًا لتقديم الحدث على طريقة الأنواع السردية الأخرى، كتوظيف الحوارات أو المونولوجات أو المذكرات، فهو يُستوحى من الحياة اليومية - في الغالب - ويكتفي القاص بعرض ذروته، دون مهمّات²².

فتكثيف الحدث يعني إيجازه، والقبض على ذروته «إذ يرفض الشرح والسببية، فيغدو كالطّين الذي يمسك مداميك البناء مثلما هو عنصر في تشكيل كلّ مدماك، ويصير حذف أي جملة منه مشكلة، وعلى هذا الأساس، عدّه الدكتور أحمد جاسم الحسين -من حيث أهميته- ثاني العناصر التي تحقّق للقصة القصيرة جدًا وجودها النصّي، فيما لو أحسن استخدامه بشكل مثير ومشوّق»²³.

إنّ الحدث هو الذي يشد عناصر البنية السردية ويصهرها في بوتقة واحدة، تُراعي خصوصيات هذا النوع الأدبي الذي يقوم على الحذف والاقتضاب «حيث تُختزل أدوات الرّبط والجمال الطويلة لتحلّ محلّها الجمل الخبرية، لتضفي سمة القصصية والتتابع والتنامي، وسيكون أثر هذا الأسلوب على بناء الوقائع والتفاصيل أثراً بالغاً من حيث الحذف وتعويض المحذوف بالإشارة إليه، وملاعبة الزمن بالإبطاء أو التسريع، والاستغناء عن كلّ ما يمكن

أن يُستغنى عنه، من وصف زائد وإطناب في التفاصيل واستسلام لقول نفس الشيء بأكثر من أسلوب وبأكثر من صيغة»²⁴.

لا مجال في هذا الفن إذن للتّرادف والإسهاب في السّرد أو الإطناب في الوصف، فهو يعبر عن الحدث وتطوّره بكلمات قليلة دون عناية بالتّفاصيل التي لا حاجة لوجودها، فالوظيفة الجمالية المقصودة من هذا التّكثيف هي جعل القارئ يقرأ الحدث من خلال ما يتركه القاص من فراغات، ومن ثمّ يساهم في تقويل النص، إذ لا يعني التّكثيف في هذا السياق، «عدد السّطور أو الكلمات أو الصفحات، بل يعني إلغاء الاستطراد والتداعي والتّثاؤب الذي يصيب القصّة في مفاصلها وأطرافها بالإعياء، مثلما يصيب قلبها ومشاعرها بالتّبدّل والجمود»²⁵.

فما تحتاجه القصّة القصيرة جدّاً، إذّا، هو حدث في ذروته يشدّ أوصالها، ويستغني عن التفاصيل ويكتفي بكلمات موقّعة شديدة الإيحاء تستعصي على الإلغاء أو النّقل أو التّبدّل.

ج. تكثيف الشّخصية: لا تحتل القصّة القصيرة جداً تعدّد الشّخصيات وعرض أبعادها الجسميّة والنّفسية وشرح التّفاصيل التي تتعلّق بها، فالشّخصية فيها تتجلى في لحظة حدثية حاسمة لعرض موقف أو بيان مفارقة أو إدانة سلوك أو الاحتفاء بفكرة، فالشّخصية ترتبط بالحدث «وحدثها غالباً ما تظهر فيه شخصية واحدة، ونادراً ما قد تظهر معها شخصية مساعدة إذا لم تنعدم»²⁶.

ويلجأ القاص، في هذا النّوع الأدبي، عند اختيار الشّخصية «إلى تقنية الاختزال، بتركيزه على جوانب محدّدة في الشّخصيات وإهمال جوانب أخرى، فهو لا يعبأ بذكر الأسماء والعمر وملامح الوجوه والهيئة الخارجية الظّاهرة، وكثيراً ما نجد القاص يستعمل الضمائر

التي تعوّض الشخصيات، إذ يؤدي الضمير المتكلم الدور الرئيس، وضمير المخاطب يُقدّم دور المستمع...»²⁷

لا يهتم القاص في القصة القصيرة جدًا، إذاً، بأوصاف الشخصية وملامحها، بل يُبدي لها وجهًا واحدًا مفضلاً على قدّ الدور الذي تؤدّيه، إذ يركّز على وظيفتها الرئيسية، وتكفي الضمائر للإحالة إليها والنيابة عنها «فالقصة الومضية تفترض شخصية أو أكثر وحدث أو أكثر، ومُنَاحًا مُحدّداً، ولكنها تُسَدِّلُ سِتَارًا شفيقاً على تلك الأركان، فلا تقول عنها إلاّ القليل، تاركة الجزء الأكبر طيّ الصمت»²⁸.

يُترجم هذا الصمت بعلامة الحذف، وعلامات الاستفهام والتعجب التي تعبّر عن الدهشة أو الإعجاب أو الخوف، وغيرها من المشاعر.

د.تكثيف الفضاء: يتشكّل الفضاء القصصي من العناصر الزمانية والمكانية التي تجري فيها الأحداث، والحدث هو فعل الشخصية، ومن ثم فالمكونات القصصية تتضافر وتتوافق، فالمكان، مثلاً، يمارس تأثيره في الشخصية فيكشف تحولاتها وحالاتها الشعورية، لذا تتعامل معه القصة القصيرة جدًا «بخصوصية العلاقات التي تربطه مع بقية عناصر السرد لأنّه داخل -بداهة- في بناء فنيّ تتأزّر عناصره المختلفة في إحكامه وتأكيد فنيته، وبوساطة هذه العلاقات، يتبادل المكان علاقتي التأثير والتأثير. مع الشخصية والحدث والزمان في تشابك لغوي مكثّف ومختزل جدًا»²⁹.

يوصف المكان في القصة القصيرة جدًا عن طريق جملة خبرية قصيرة ومُختزلة، لا تحيط بتفاصيله ولا تهتم بكشف أبعاده بل تكفي بالإشارة، فاسحة المجال لخيال القارئ لسد الثغرات وإكمال التفاصيل.

ويعتمد القاص في القصة القصيرة جدًا إلى كسر التتابع الخطّي للحدث بإظهاره في ذروته، بل يعبرُ بالقارئ أحياناً من الحاضر إلى الماضي في شكل ارتدادات زمنية عن

طريق تقنيّتي الاسترجاع والاستباق، «ويرى توماس بيرنز» -وهو أحد نقاد القصة القصيرة جدًا- أن لا ضرورة لاستخدام الاسترجاع، مُعلِّلاً رأيه بأن ليس هناك متنّسع لتزويقها بأحداث ماضية، وهذا غير مقنع، لأنّ الاسترجاع لا يعني الإطالة بأحداث جرت في السّابق وذكر تفاصيلها، وإنّما تقنية يستخدمها القاص لإعانة القارئ على استقبال المزيد من المعلومات بإرشادات أو رموز تلمّح إلى ذلك بأقل ما يمكن من الكلمات»³⁰.

والحقيقة أن القصة القصيرة جدًا كغيرها من الأنواع السردية الأخرى تستثمر هذه التّقنيات الزّمنية في حدود ما يسمح به فضاءها، ففيها الحذف وفيها الخلاصة، وغيرهما من أساليب تسريع السرد، إلّا أنّ هذه الأخيرة «وهي تقنية زمنية يقوم فيها الراوي بسرد وقائع استغرقت عدّة ساعات أو أيام أو أسابيع - بخصوص القصة القصيرة جدًا- في بضعة أسطر، دون الخوض في جزئيات وتفاصيل الأعمال والأقوال التي تضمّنتها تلك الأحداث، وتعتمد القصة القصيرة جدًا على هذه التّقنية الزّمانية وتكثر فيها بما يلائم طبيعتها القصيرة جدًا، فتكتفّ الأحداث وتسرع بالزّمن»³¹.

وقد تخفي القصة القصيرة جدًا زمنها وتركّز على الحدث، هادفةً من خلال ذلك إلى تجاوز اللحظة المأزومة والانفتاح على العام والمشارك.

وتجدر الإشارة إلى أنّ ركن التّكثيف قد حاز اهتمامًا كبيرًا من قبل كُتاب وناقدي هذا النّوع السردية بل ذهب بعضهم إلى اقتراح عناصر تضمن توافر هذا الرّكن في القصة القصيرة جدًا وهي:

«1. الجمل القصيرة المركّزة ذات الطّابع الموحى والمختصر في أسلوب سردها والقدرة

على الإيحاء والتّعبير والإشعاع بأكثر من دلالة.

2. الاقتصار على أقل عدد ممكن من الشّخصيات.

3. تركيز الحوار أو الاستغناء عنه إذا أمكن ذلك.

4. شحن الجملة القصصية بالصورة الفنية التي تؤدي دور وصف وتشي بالمعنى وتتم عنه.

5. اختزال الحدث القصصي وينطبق على التركيز المكاني والسقف الزمني للقصة القصيرة جدًا.

6. العناية الخاصة بالاستهلال في جذب القارئ.

7. الاهتمام بنهاية القصة، التي تعطي انطباعًا مؤكدًا نجاح القصة أو إخفاقها»³².

وعلى أصالة هذا الجهد وأهمية هذه العناصر، فإننا نستطيع أن نرد كل واحد منها إلى عنصر من عناصر البنية السردية للقصة القصيرة جدًا، فتركيز الجملة وشحنها بالمجاز، يمكن رده إلى عنصر تكتيف اللغة، والاقتصار على أقل عدد ممكن من الشخصيات يمكن رده إلى عنصر تكتيف الشخصية وتركيز الحوار، أما اختزال الحدث وعنصري الزمان والمكان فيمكن إدراجهما ضمن تكتيف الحدث وتكتيف الفضاء، أما فيما يخص العناية بالاستهلال والنّهاية فهما رهان الكتاب في كلّ الفنون السردية ولا تقتصر أهميتهما على القصة القصيرة جدًا فحسب.

6. وظائف التكتيف وجمالياته:

يغلب على القصة القصيرة جدًا المسكوت عنه على المقول والمصرّح به، وهي لون من ألون السرد الوجيز ولا أدلّ على ذلك من الجهاز الاصطلاحي الذي يُوظّف في مقارباتها النقدية من قبيل: الحذف والاقتضاب والاختزال والإيجاز والإضمار، وهي مصطلحات على صلة وثيقة بركن لتكتيف، إنّها فنّ غير مكتمل ومن ثم يضطلع لقارئ بمهمة ملء الفراغات وبناء الشكل «الذي لا تقدّم له منه إلا صورة هلامية مجرّاة، إنّ بهذا المعنى تغيير للعادات

القرائية وإعادة اعتبار لدور القارئ، حتى يفارق دور المستهلك السلبي إلى دور المنتج الفاعل»³³.

ولا ينبغي أن يؤدي التكتيف إلى الإخلال بالرؤية والتورط في الإبهام، إنه إمساك بزمام الحكي دون إطالة أو إخلال، «وهو الذي يحدّد مهارة القاص، وقد يخفق كثير من القاصّين أو الروائيين في كتابة هذا النوع الأدبي، بسبب عدم قدرتهم على التركيز أو عدم ميلهم إليه»³⁴.

ويؤدي التكتيف وظيفتين «ترتبط الأولى بالإيحائية، وتتعلّق الوظيفة الثانية بالغموض الذي يسعى القارئ إلى فكّ لبسه وبواسطته تُبنى الدلالة»³⁵.

فعن طريق الوظيفتين المذكورتين نستدرج القارئ للاشتراك في بناء أحداث القصة وإنتاج دلالاتها، هذا ولا ينبغي التّماذي في الاهتمام باللغة وشعريتها وإهمال العناصر الأخرى «لأنّ ذلك سيخرج هذا الجنس الأدبي الحديث النّشأة إلى نطاق الخاطرة أو القصيدة الشعريّة، أو أي شيء غير القصّة القصيرة جدًّا»³⁶.

وما دامت القصّة القصيرة جدًّا، إبداعًا خاطفًا وامضًا يقتنص حالةً أو حدثًا ويعبّر عنهما باقتضاب، فإنّ إخفاق كاتبها في توظيف عنصر التكتيف «سيقود قصّته إلى التّرهل، ورُبّما التّفاصيل التي لا حاجة لوجودها في القصّة»³⁷.

إنّ القصّة القصيرة جدًّا وهي تحتفي بالتكتيف، لا تحتاج إلى تشذيب، وأي تغيير يمس عناصرها الفنية سيلغي وجودها ويغيّر مسارها، ف «للتكتيف أهمية كبرى في صياغة العمل القصصي، لأنّ تعدّد الرّؤى والقراءات تنفجر من خلاله، ولأنّ القصّة القصيرة جدًّا، تجعل من الكلمات القليلة ومن الجمل المكثّفة بناء سرديًّا جديدًا، تكون فيه الألفاظ مستنقزة للمتلقّي، وتدفعه إلى أن يعيش هذه اللّحظة ويتفاعل معها»³⁸.

ويمكن من خلال ما سبق اختصار وظائف التّكثيف وجمالياته فيما يلي:

1. يثير القارئ بالّغة الشّعريّة الرّامزة التي تفتح آفاق التّأويل ومن ثمّ المشاركة في إنتاج النّص.
2. يحفظ القصة من التّرهل والغرق في التفاصيل التي لا تضيف شيئاً يُذكر إلى شعريتها.
3. يحفظ هويّة هذا النّوع الأدبي ويمنعه من الدّوبان والتّلاشي في أنواع أخرى تتاخمه وتجانسه كالشعر والخاطرة.
4. يضع كاتب هذا السرد الواض على المحك، فالفشل في توظيفه فشل في الانتماء إلى هذا النوع الأدبي.
5. يوفّر التّكثيف للقصة القصيرة جدّاً خاصيّة الاكتمال، بحيث لا تحتاج إلى أي تشذيب أو تبديل أو زيادة.

7. خاتمة: نستخلص من خلال ما سبق النتائج التالية:

1. ينصرف معنى "التّكثيف" لغةً للدّلالة على الجمع والكثرة والانتفاخ والغلظة والتراكب.
- وقد نزع هذا المصطلح من "علم النفس" إلى النّقد وأصبح سِمَةً توصف بها لغة الشعر، ولغة بعض الفنون السردية الوجيزة كالقصة القصيرة والقصة القصيرة جدّاً.
2. تعدّدت تسميات هذا النوع السردى الواض في اللّغتين العربيّة والفرنسيّة على حدّ سواء، إلّا أنّ المصطلح الذي شاع وتكرّس في العربيّة هو "القصة القصيرة جدّاً".
3. اختلف النّقاد والدّارسون في حصر مفهوم موحد لهذا النّوع، واختلفوا كذلك في شروطه الفنيّة وإن كانوا متقاربين في تحديد أركانه التي تتراوح بين القصصيّة والتّكثيف والمفارقة.

4. يتجلى التّكثيف في عناصر البنية السّردية للقصة القصيرة جدًّا بداية من لغة سردها المشحونة بالإيحاء والمجاز والرّمزية، وكذا حدثها الذي يكتفي القاص بعرض ذروته، دون تفاصيل وممّهّدات، ثمّ شخصيتها التي تُعرض مختزلة وقد ينوب عنها ضمير، فلا يعبأ القاص بذكر اسمها وعمرها وبقيّة ملامحها بل يُبدي منها وجهًا واحدًا مُفصّلًا على قدّ الدّور الذي تؤدّيه، وأخيرًا فضاؤها بعناصره الزّمنية والمكانية فلا تحيط القصة القصيرة جدًّا بأبعاده ولا بتتابعه الخطي، كما تقتصد في تقنيات الإبطاء، وتركّز بالخصوص على الخلاصة، بحيث تعرض أحداثًا دامت أشهرًا وأسابيع في بضعة أسطر.

5. للتّكثيف وظائف وجماليات، تتمثّل في إثارة القارئ واستمالاته لملء الفراغات، وحفظ القصة من الترهّل والحفاظ على هويّتها وتوفير عنصر الاكتمال والانغلاق لهذا الفن فلا تقبل أي إضافة أو تشذيب أو تبديل.

8. الإحالات والمراجع:

- ¹ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الجزء الخامس، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دت، دط، ص 161.
- ² - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصّاح، ضبطه وصحّحه أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 290.
- ³ - ينظر: مجد الدّين محمد بن يعقوب، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 263.
- ⁴ - عبد السلام المسديّ، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1982، ص 192.
- ⁵ - إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتّحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، دط، 1986، ص 146.
- ⁶ - سعيد علوش، معجم مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر، فرنسي-عربي، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، مارس 2019، ص 183.

- 7- أحمد جاسم الحسين، القصّة القصيرة جدًّا، مقارنة تحليلية، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص26.
- 8- محمد القاضي، القصّة الومضة، قراءة في الذات، قراءة في التاريخ، مجلة قوافل أدبية فصلية، تصدر عن النادي الأدبي بالرياض، العدد 69، نوفمبر 2016، ص70.
- 9- أسامة محمد البحير، معجم المصطلحات الأدبية والنقدية، دار النابغة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2021، ص265.
- 10- حسين المناصرة، القصّة القصيرة جدًّا، رؤى وجماليات، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2015، ص22.
- 11- صالح هويدي، السرد الومض، مقارنة في نقد النّقد، كتاب "الرافد"، دائرة الثقافة، الشارقة، العدد 139، أبريل 2017، ص78.
- 12- أحمد جاسم الحسين، القصّة القصيرة جدًّا، مقارنة تحليلية، ص11.
- 13- حميد لحميداني، نحو نظرية مفتوحة للقصّة القصيرة جدًّا، مطبعة أنفوبرانت، فاس، المغرب، ط1، 2012، ص119.
- 14- يوسف حطيني، دراسات في القصّة القصيرة جدًّا، مطابع الرباط، المغرب، ط1، 2014، ص10.
- 15- عباس عجاج، حوارات عربية حول القصّة القصيرة جدًّا، دار إدراك للنشر الإلكتروني، مصر، ط1، 2020، ص8-9.
- 16- سعاد مسكين، القصّة القصيرة جدًّا في المغرب، تصورات ومقاربات، دار التتويح للنشر، الرباط، المغرب، ط1، 2011، ص25.
- 17- تقي الدّين محمد يوسف عبيدات، القصّة القصيرة جدًّا في الأردن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، دت، ص107.
- 18- مامي حنان، بوحوش مرجانة، تلقّي القصّة القصيرة جدًّا في نقد حسين المناصرة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، تصدر عن جامعة "تامنغست"، الجزائر، مجلد 10، عدد 05، السنة 2021، ص111.
- 19- أحمد عفيفي، سها السطوحي، تجديد الخطاب النقدي في ضوء علم النّص، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2019، ص282.
- 20- حميد لحميداني، نحو نظرية مفتوحة للقصّة القصيرة جدًّا، ص87.
- 21- جاسم خلف إلياس، شعرية القصّة القصيرة جدًّا، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، دط، 2010، ص99.

- 22- يُنظر، جاسم خلف إلياس، شعرية القصة القصيرة جدا، ص100.
- 23- المرجع نفسه، ص117.
- 24- تقي الدين محمد يوسف عبيدات، القصة القصيرة جدا في الأردن، رسالة ماجستير، ص108.
- 25- المرجع نفسه، ص111.
- 26- جاسم خلف إلياس، شعرية القصة القصيرة جدًا، ص104.
- 27- محمد يوب، التجريب في القصة القصيرة جدا، مجلة الجوبة، مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، السعودية، عدد 47 سنة 2015، ص28.
- 28- جاسم خلف إلياس، شعرية القصة القصيرة جدا، ص110.
- 29- المرجع نفسه، ص112.
- 30- جاسم خلف إلياس، شعرية القصة القصيرة جدًا، ص110.
- 31- المرجع نفسه، ص112.
- 32- جاسم خلف إلياس، شعرية لقصة القصيرة جدا، ص125.
- 33- محمد القاضي، القصة الموضحة، قراءة في الذات، قراءة في التاريخ، مجلة قوافل، عدد 69، نوفمبر 2016، ص74.
- 34- يوسف حطيني، القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، دراسة نقدية، مطبعة اليازجي، دمشق، ط1، 2004، ص33.
- 35- حنان مامي، القصة القصيرة جدا في النقد العربي المعاصر، نماذج مختارة، أطروحة دكتوراه (ل،م،د) جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، قسم اللغة والأدب العربي، السنة الجامعية 2021-2022، ص128.
- 36- أسماء بنت صالح بن مطلق العمرو، الخصائص الفنية في القصة القصيرة جدا، دراسة لمجموعتي: قال كل شيء في الظلام، كحل عينيك صار خالا، للكاتب السعودي فهد إبراهيم البكر، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالبحر، جامعة الأزهر، المجلد 39، ديسمبر 2020، ص4198-4199.
- 37- جاسم خلف إلياس، شعرية القصة القصيرة جدا، ص120.
- 38- ليث سعيد هاشم الرواجفة، مدارات سردية، قراءات تطبيقية على الرواية والقصة القصيرة جدا، دار الدراويش، بلغاريا، ط1، 2018، ص71.

